﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص: 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

تفسيرُ الإنابة بطلَبِ المغفرة

لمّا ذُكرَ في الآيةِ السّابقةِ فتنة سليمانَ عليه السلام، وأنّه أنابَ إلى ربّه فسّرَتِ في هذه الآية الإنابة، جوابًا لمَنْ سألَ عنها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُلۡكٗا﴾: أصلُ (ملك) يدُلُّ على قوّةٍ في الشَّيءِ وصِحَّةٍ. يُقالُ: أمْلَكَ عَجينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وشَدَّهُ. ومَلَّكْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ، والأصْلُ هذا. ثُمَّ قيلَ: مَلَكَ الإنسانُ الشَّيءَ يَمْلِكُهُ مَلْكًا[2]. والمُلْك: نَوعٌ من المِلْكِ بِكَسْرِ الميم، فالمِلْكُ جِنْسٌ، والمُلْكُ - بالضَّمِّ - نَوْعٌ مِنْهُ وهو أعْلَى أنْواعِهِ، ومعناهُ: التَّصرُّفُ في جماعةٍ عظيمةٍ، أوْ أُمَّةٍ عديدةٍ تصرّفَ التَّدْبيرِ للشُّؤون، والإقامَةِ للحُقوقِ، والرِّعايةِ للمصالِحِ، ودَفْعِ العُدوانِ عنها، وتوجيهِها إلى ما فيهِ خيرُها، بالرَّغبةِ والرَّهبة[3]، والمُرادُ بالمُلكِ في الآية: التَّصَرُّفُ العظيمُ الشَّبيهُ بتصرُّفِ المَلِكِ.

2) ﴿ٱلۡوَهَّابُ﴾: الهِبَةُ: أنْ تجعَلَ مُلكَكَ لغيرِكَ بغيرِ عِوَضٍ[4]. تقولُ: وهَبْتُ الشَّيءَ أهَبُهُ هِبَةً ومَوْهِبًا. واتَّهبتُ الهِبَةَ: قَبِلْتُها[5]. ويوصَفُ اللّه تعالى بالواهِبِ والوَهّابِ[6]، تقول: وهَبَ اللّه له الشَّيءَ، فهو يَهَبُ هِبَةً، وتواهَبَهُ النّاسُ بَينهم، وكلُّ ما وُهِبَ لك من ولَدٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 383.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (ملك).
(3) الراغب، المفردات: (ملك)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 213.
(4) الراغب، المفردات: (وهب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وهب).
(6) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (وهب).

وغيرِه فهو مَوْهوبٌ[1]. والمرادُ بالوهّاب في الآية: الكثيرُ الهِباتِ المُنعِمُ على العِباد.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

طَلَبُ المَغفرةِ مِن اللهِ تعالى سببٌ لانفِتاحِ أبوابِ الخَيراتِ في الدُّنيا

قال سُليمانُ عليه السلام: رَبِّ استُرْ عليَّ سَهْوي ونِسياني، وتَجاوَزْ عن مُؤاخَذَتي بهما، وامنحني مُلكًا عظيمًا لا يتأتَّى لأحدٍ غيري مثلُهُ؛ إنَّك - يا ربِّ - كثيرُ الهِباتِ والعَطاءِ لِمَن تَشاءُ مِمّا تَشاءُ مِن خزائنِ رَحمتِك وفَضلِك[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفَصْلِ بفعلِ (القول):

اشتمالُ الإنابةِ على طلَبِ العَفْوِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ عمّا قبلَهُ - وهو قولُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ - لوجودِ كمالِ الاتّصالِ بينَهما، وهو اتّحادُ الجملتينِ اتّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيثُ تُنَزَّلُ الثّانيةُ منَ الأولى منزلةَ نفسِها[3]، فقد وقعتْ جُمْلَةُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ بدلَ اشتمالٍ من جُملة ﴿أَنَابَ﴾؛ لأنّ الإنابةَ تشتملُ على ترقُّبِ العَفْوِ عمّا عسى أن يكونَ قد صدرَ منهُ ممّا لا يُرضي اللّه تعالى صدورُهُ من أمثالِه[4]. كما يحتملُ النَّظمُ أنَّ الفصلَ بين الجملتين لشبهِ كمالِ الاتِّصال؛ إذ نشَأ من قولِه: ﴿أَنَابَ﴾ سؤالٌ عن طريقةِ الإنابة؛ فأجاب: بأنَّها طلبُ الغفران عن سَهْوٍ أوْ عزمٍ على فعلٍ لا يليقُ.

وجهُ إيثارِ لفظِ الرَّبِّ:

شفقةُ الرّبِّ بالمربوبِ والإحسانُ إليهِ

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ التّعبيرُ بوصفِ ﴿رَبِّ﴾ دونَ سِواهُ من أسماءِ اللّه وصفاتِهِ؛ لما في وصفِ الرّبوبيَّةِ من الدّلالةِ على

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (وهب).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 94، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 30، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 497، والزحيلي، التفسير المنير: 23/ 202.
(3) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 261.

الشّفقةِ بالمَربوبِ، ومَحبّةِ الخيرِ له، وذلك أنّ اسمَ (الرّبِّ) مشتقٌّ من التّربيةِ، ومعناها يرجعُ إلى تدبيرِ أمرِ المَربوبِ والرِّفقِ واللُّطفِ به؛ فهو أنسبُ لسياقِ الدُّعاء والتّضرُّع[1]. ولتتأتّى الإضافةُ المفيدةُ للتّشريفِ والقُربِ، فطلبَ مِن ربِّهِ الّذي أحسنَ إليه بكلّ النّعم من النّبوّة والملك وغيرِها أنْ يغفرَ له الأمرَ الّذي كانت الإنابةُ بسببِهِ[2]. كما أنَّ (الرَّبَّ) مصدرٌ مضافٌ لمفعوله يُنبئ عن مطلقِ التَّصرُّف بالمربوبِ، وهو الأنسبُ للدُّعاء بطلبِ المغفرةِ منه.

مناسبةُ حذفِ حرفِ النّداءِ في ﴿رَبِّ﴾:

الـدّاعـي قـريـبٌ من رَبّهِ المُجيب

حُذِفَ حرفُ النِّداءِ (يا) في قولِهِ تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ لنكتةِ الإيجازِ، وللإيذانِ بقُربِ اللّه تعالى منَ الدّاعي، وللإشعارِ بطلبِ المُبادرةِ إلى التّضرُّعِ بعدَ السّهْوِ والغَفلةِ، ويُحتمل أنْ تكونَ الصّيغة نداءً بمعنى الدّعاءِ والتّضرُّع؛ ليكونَ على خلافِ مُقتضى الظّاهر، ونكتةُ مجيءِ الدُّعاءِ والتّضرُّع بصيغةِ النّداء الّذي حُذفت منه الأداةُ هي الإشعارُ بقربِ الدّاعي إلى المَدعوِّ معَ إقبال المدعوِّ إليه بالاستجابة.

سرُّ حذفِ الضَّمير من لفظِ (الرّبِّ):

الاكـتـفـاءُ بـالـكـسـرةِ عن (الياءِ) اختصارًا

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ حذفُ الياءِ من ﴿رَبِّ﴾؛ لنكتةِ الاختصار والاكتفاءِ بالكسرةِ عن الياء، وهو المشهورُ من كلامِ العرب، ويجوز أيضًا إثباتُها (رَبّي)، ويحتملُ أنَّ الحذفَ لتقريبِ طلبِ المغفرةِ منَ المدعوِّ تعالى بحيثُ لا يكونُ هنالك حاجزٌ بينَهما تصويرًا لمدى حاجتِهِ إلى النَّظر في مطلوبه.

دلالةُ الطّلبِ في قولِه: ﴿ٱغۡفِرۡ﴾:

جاءَ في قولِه تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ فعلُ الأمر ﴿ٱغۡفِرۡ﴾، وحقيقةُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/ 16، والآلوسي، روح المعاني: 5/ 263، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/ 149.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 383.

العزمُ في الدّعاء سببٌ في إجابتِهِ

الأمرِ فيه أنَّهُ لِلدُّعاءِ؛ إذْ فيه طلبٌ مِنَ الأدْنى إلى الأعْلى، ونكتةُ مجيءِ الدُّعاءِ بصيغةِ الأمر العَزْمُ على طلَبِ الاستجابةِ وتمكينُ المَعنى في النّفس، والمرادُ بالمغفرةِ: عدمُ المؤاخذةِ بسَهْوٍ أوْ نِسيانٍ أوْ غفلةٍ تعرضُ للنّفسِ البشريَّةِ جبلّةً؛ لأنَّ هذا هو اللّائقُ صدورُهُ بحالِ الأنبياء والمُرسَلين عليهم الصَّلاةُ والسَّلام.

فائدةُ حذفِ (المفعولِ) من فعلِ المَغفرة:

التّأكيدُ على طَلَبِ المغفرةِ في حدِّ ذاتِها

طويَ في قولِهِ تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ ذكرُ المفعولِ به للفعلِ ﴿ٱغۡفِرۡ﴾، وتقديرُ الكلامِ: (اغفِرْ لي زلَّتي، أوِ اغفِرْ لي خَطَئي)، والنّكتةُ في حذفِ المفعولِ التّركيزُ على معنى الفعلِ ﴿ٱغۡفِرۡ﴾ في حدِّ ذاتِهِ، والتّأكيدُ على طَلَبِ المغفرةِ بعينِها، وليسَ السّياقُ في بيانِ الذّنبِ المَغفور، ومعلومٌ أنَّه إذا كان الكلامُ مُنصَبًّا إلى غرضٍ منَ الأغراضِ جُعِلَ سياقُهُ له وتوجّهُهُ إليه، كأنّ ما سواهُ مرفوضٌ مُطَّرَحٌ[1].

دلالةُ الجارِّ والمجرورِ ﴿لِي﴾:

تخصيصُ العبدِ نفسَهُ بسُؤالِ المَغفرة

جاءت اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ جارَّةً لضميرِ المُتكلِّم، ومعنى (اللّام) التّعليلُ، بمعنى: أنّ طلبَ المغفرة وحصولَها كان من أجلِ سُليمان نفسِهِ بما اتّصفَ به من توبةٍ وإنابةٍ، ففيه تخصيصٌ لنفسِهِ بسؤالِ المغفرة، وليفيدَ تقريرَ سببِ المغفرةِ وترتّبِها على دُعائِهِ المَذكور.

توجيهُ العطفِ بـ(الواو):

الجمعُ بينَ طلبِ صلاحِ الدّينِ وصلاحِ الدُّنيا

وُصِلَ قولُه تعالى: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾ بما قبلَهُ بحرفِ (الواوِ) الدّالِّ على الجمعِ والاقتران، فقد جمعَ سُليمانُ عليه السلام في دُعائِهِ بينَ سُؤالِ المغفرةِ وسُؤالِ المُلك، وقرنَ بينَ صلاحِ الدّين وصلاحِ الدّنيا، لكنَّه قدَّمَ التَّخليةَ على التَّحليةِ، ونَفْعَ الآخرةِ على نَفْعِ الدُّنيا.

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.

دلالةُ الفعلِ (هبْ):

إنعامُ الوهّاب على العبادِ مِن دونَ أعواضٍ

عُبِّرَ في قولِه تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ بالفعلِ (هَبْ)، وهو في أصلِه فعلُ أمرٍ خرجَ مَخرجَ الدّعاءِ والتَّضرّعِ؛ إذ هو طلبٌ من الأدنى إلى الأعلى، ومعنى هذا الفعلِ طلبُ الهِبةِ، والهِبةُ: العَطيَّةُ الخاليةُ عَنِ الأعْواضِ والأغْراضِ[1]. وسُليمانُ ﷺ سألَ ربَّهُ الوَهّابَ، المُنعِمَ عَلى العِباد أنْ يُعطيَهُ مُلكًا عظيمًا من دونِ مُقابلٍ؛ وفي ذلك دلالةٌ على سَعَةِ مُلك اللّه تعالى الّذي لا ينفُدُ عطاؤُهُ.

علّةُ تقديمِ الاستغفارِ على استيهابِ المُلْك:

وجوبُ تقديمِ مُهِمِّ الدّين على مُهِمّ الدُّنيا

دلَّ تقديمُ الاستغفارِ على استيهابِ المُلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ على أنّه يجبُ تقديمُ مُهِمِّ الدّينِ على مُهِمِّ الدُّنيا؛ لأنّ سُليمانَ ﷺ طلبَ المغفرةَ أوّلًا ثمّ طلبَ المَملكة، وتدلّ الآيةُ أيضًا على أنّ طلبَ المغفرةِ من اللّه تعالى سببٌ لانفتاحِ أبوابِ الخَيرات في الدُّنيا؛ لأنّ سليمانَ طلبَ المغفرةَ أوّلًا، ثمَّ توسّلَ به إلى طلبِ المَملكة، وهذا شأنُ الأنبياءِ والمُرسَلين[2].

سرُّ تنكيرِ ﴿مُلْكًا﴾:

سؤالُ المُلكِ العظيم من الرَّبِّ العظيم

أوثِرَ في قولِه تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ التّعبيرُ بلفظِ ﴿مُلْكًا﴾ منكَّرًا، والنّكتةُ من تنكيرِهِ التَّعظيمُ؛ أي: مُلكًا عظيمًا، والعربُ تقول: إنّ له مالًا؛ أي: عظيمًا، وهذا التّعظيمُ مستفادٌ من الإبهامِ الّذي تدلُّ عليه النّكرةُ، فتذهبُ النّفسُ في تقديرِهِ كلَّ مَذهَبٍ. ومنَ المُلاحَظِ أنَّ فعلَ المغفرةِ لم يتعدَّ لمفعولٍ بخلافِ فعلِ الهِبة؛ لأنَّ المغفرةَ جاءَت في مقابلة فتنةٍ مُبهمةٍ لم يُصرَّح بها، فتُرِكَ التَّصريحُ بمفعولِ الغُفران، واللّائقُ بشأنِ الأنبياء أنْ يكونوا غيرَ مفتونينَ بها، فليس لهم ذنبٌ، بل غفلةٌ أوْ سهوٌ، فيكونُ شاملًا لكلِّ شيءٍ من ذلك،

(1) الراغب، المفردات: (وهب).

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 394.

وعُلِمَ من عطفِ طلبِ الهبة على طلبِ المغفرةِ أنَّ إنابتَهُ لم تكنْ عن ذنبٍ متعمّدٍ، وإلّا لم يسألِ المُلكَ العظيمَ، فكانتْ إنابتُهُ تخليةً من سَهْوٍ وتحليةً بمُلكٍ معًا.

بلاغةُ النّفي بـ﴿لَّا﴾ دونَ (لَم):

سُـؤالُ الـلـه الـتّـخـصـيـصَ بـمُـلْـكٍ عظيمٍ على مَدَى الأزمِنَة

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ النّفيُ بـ﴿لَّا﴾ دونَ غيرِها مِن أدواتِ النّفْي؛ لإفادةِ طلبِ سُليمانَ من اللّه ﷻ الاختصاصَ بمُلكٍ لا يكونُ مثلُهُ لأحدٍ بعدَهُ في كلِّ الأزمنة؛ لما تتميّزُ به (لا) النّافيةُ مِن أنّ النّفي بها مطلقٌ في الأزمنةِ، في حينِ أنّ النّفيَ بـ(لم) يفيدُ النّفيَ في الماضي من دونِ التّعرّضِ للنّفي في الحاضرِ والمُستقبَل.

وجهُ التّعبيرِ بالمُضارعِ ﴿يَنۢبَغِي﴾:

سُـؤالُ سُليمانَ عليه السلام لِـمُـلْـكٍ لا يَـتـيـسّـرُ لأحـدٍ مُستقبَلًا

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ﴾ التّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَنۢبَغِي﴾، وهو مُطاوِعُ (بغاهُ)، كما أنّ الانكسارَ مُطاوِعُ (كَسَرَ)، ويُستعمَلُ تارةً بمعنى (لا يَصِحُّ)؛ كقولِهِ تَعالَى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ﴾ [يس: 40]، وتارةً بمعنى: (لا يَتيسَّرُ) و(لا يَليقُ)، وقد جاءَ بصيغةِ المضارعِ للدّلالةِ على الاستقبال، بمعنى أنّ سُليمانَ عليه السلام سألَ مُلكًا لا يكونُ ولا يتيسّرُ لأحدٍ مِن بعدِهِ مُستقبَلًا[1].

الكنايةُ في لفظِ ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾:

عـــدمُ إتـاحـةِ الـشَّيءِ يَستلزِمُ عدمَ عطائه وإن كان مطلوبًا

يتضمّنُ قولُهُ تعالى: ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ﴾ كنايةً، فقد ارتقى سُليمانُ في تدرّجِ سُؤالِهِ إلى أنْ طلَبَ مُلكًا لا يَنبغي لأحدٍ من بعدِهِ؛ أي: لا يَتأتّى لأحدٍ من بعدِهِ وإنْ طلبَهُ وأرادَهُ؛ أي: لا يُعطيه اللّه أحدًا يَبتغيهِ من بعدِهِ؛ فكنى بـ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾ عن معنى: لا يُعطَى لأحدٍ؛ أي: لا تُعطيهِ أحدًا مِن بَعدي، فذكرَ الملزومَ وأرادَ اللّازمَ[2].

(1) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 416.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 262، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 416.

المجازُ العقليُّ في ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾:

تأدُّبُ الأنبياءِ في الدُّعاء

يمكنُ أيضًا حملُ قولِهِ تعالى: ﴿مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ﴾ على المَجاز، إذ فعلُ: ﴿يَنۢبَغِي﴾ مُطاوعُ (بَغاهُ)، يقالُ: (بَغاهُ فانبَغَى له)، وليسَ للمُلكِ مطاوعةٌ، فإسنادُ الانبغاءِ إلى المُلك مجازٌ عقليٌّ، وحقيقته: انبغاءُ سببِهِ وهو الدُّعاءُ، وهذا من التَّأدّبِ في دُعائِهِ؛ إذ لم يقل: لا تُعطيهِ أحدًا من بَعدي[1].

معنى (اللّام) في ﴿لِأَحَدٖ﴾:

المُلكُ عقيمٌ لا يقبلُ المُنازِعَ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ﴾ حرفُ اللّام، ومعناها الاختصاصُ، فقد سألَ سُليمانُ ﷺ ربّه أنْ لا يُقيمَ لهُ مُنازِعًا في مُلكِهِ، وأنْ يَبقى له ذلك الملكُ على وجهِ الاختصاص به ولأجلِهِ دونَ غيره إلى مَوتِهِ.

نكتةُ إيثارِ لفظِ (أحدٍ):

المُبالغةُ في الدّلالةِ على التَّفرُّد

أوثِرَ في قولِهِ تَعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ﴾ التّعبيرُ بلفظِ (أحَدٍ) دون (واحدٍ)؛ لما يَتميّزُ به لفظُ (أحدٍ) من المُبالغةِ في الدّلالةِ على التَّفرُّدِ، فـ(أحدٌ) صفةٌ مشبّهةٌ مثلُ (حَسَن)، وصيغةُ الصّفةِ المشبَّهة تفيدُ تمكّنَ الوصفِ في موصوفِها بأنّه ذاتيٌّ له، أمّا (واحدٌ) فهو اسمُ فاعلٍ لا يفيدُ التَّمكُّنَ، ولأنّ لفظَ (أحدٍ) يستعملُ اسمًا بمعنى (إنسانٍ) في خصوصِ النّفي، ونظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ [الكهف: 38][2]. ويُفهَمُ بقرينةِ ﴿مُلۡكٗا﴾ أنّه سألَ مُلكًا يختصُّ به عن الملوكِ دونَ غيرهم من الأنبياءِ والمُرسَلين.

معنى ﴿مِّنۢ﴾ في قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾:

تحديدُ محلِّ الابتداءِ إظهارٌ للتَّميُّزِ حتّى الانتهاء

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ التّعبيرُ بحرفِ الجرّ ﴿مِّنۢ﴾، وهو دالّ في هذه الآيةِ على ابتداءِ الغايةِ الزّمانيّة،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 262.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 614.

والمعنى: أنّه لا يَنبغي لأحدٍ من النّاس من بعدي إلى يومِ القيامة[1]. وحذفَ زمنَ الانتهاءِ واقتصرَ على زمنِ الابتداء؛ ليكونَ إظهارًا للتَّفوُّقِ الكلّيِّ الشّاملِ.

سرُّ إيثارِ الظَّرفِ (بعد):

طلبُ التّخصيصِ بكرامةٍ ومُعجزةٍ على النّبوّة

يجوزُ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ أنْ يُحمَل الظَّرفُ ﴿بَعۡدِيٓۖ﴾ على ظاهره؛ أي: بعدَ حياتي. ويكونُ المعنى: أنّه لا ينبغي مثلُه لأحدٍ بعدَ وفاتي. ولا شكَّ أنّ سُليمانَ ﷺ إنَّما قصدَ بهذا الدُّعاء قصدًا مبرورًا جائزًا؛ لأنّ للإنسانِ أنْ يرغبَ من فضلِ اللّه فيما لا ينالُهُ أحد، لا سيَّما بحسب المكانةِ والنّبوءة، فأرادَ ﷺ أن يُفرده ربُّه من بينِ البشر بهذا المُلك؛ لتكونَ خاصّةً له وكرامةً ومُعجزةً على النّبوّة.

بلاغةُ المَجاز في لفظِ ﴿بَعۡدِيٓۖ﴾:

البَعْديّةُ تَقتضي المُغايرةَ

وحملَ بعضُ المُفسّرين البعديَّةَ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ على المَجاز، فجعلوا ﴿بَعۡدِيٓۖ﴾ بمعنى: مِن غَيري أوْ مِن دوني، إذ البعديَّةُ تَقتضي المُغايرةَ وتَستلزِمُها، فيكونُ مَجازًا كقولِهِ تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية: 23]، فيكونُ المعنى: لا ينبغي لأحدٍ غَيري؛ أي: في وقتِ حياتي، فهذا دعاءٌ بأنْ لا يُسلِّطَ أحدًا على مُلكِهِ مُدّةَ حياتِهِ. وعلّلوا هذا الحَمْلَ بأنّه المناسبُ لمقامِ النُّبوّة، لئلّا يكونَ في سؤالِهِ هذا الملكَ شيءٌ من الاهتمام بأنْ لا ينالَ أحدٌ غيرُهُ مثلَ ما ناله هو؛ فلا يردُ على ذلك أنّ مثل هذا يُعَدّ من الحَسَد[2]. وعلّلَ الزّمخشريُّ هذا الدّعاءَ بأنّ سُليمان ﷺ كان ناشئًا في بيتِ المُلكِ والنّبوَّةِ وارثًا لهما، وأرادَ أنْ يطلُبَ مِن ربِّه مُعجزةً فطلبَ عَلَى حسبِ إلفِهِ مُلكًا زائدًا على المَمالك زيادةً خارقةً للعادة بالغةً حدَّ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 386.

(2) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 416، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 262.

الإعجاز؛ ليكونَ ذلك دليلًا على نبوّته قاهرًا للمبعوث إليهم، وأنْ يكون معجزةً حتّى يخرقَ العاداتِ[1].

دلالةُ فصلِ الجملةِ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾:

تعليلُ رَجاءِ المغفرةِ والمُلكِ بكونِ اللهِ هو الوّهابَ

وردتِ الجملةُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ مفصولةً عن الجملةِ قبلَها؛ لأنّ بينَهما ما يسمّى في البلاغة بـ(شبهِ كمالِ الاتّصال)، وهو كونُ الجملةِ الثّانيةِ قويّةَ الارتباطِ بالأولى؛ لوُقوعِها جوابًا عن سُؤالٍ يُفهَمُ منَ الجُملةِ الأولى، فتُفصَلُ عنها كما يُفصَلُ الجوابُ عنِ السُّؤال[2]. فجملةُ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ تعليلٌ لجملةِ ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾؛ إذ علَّلَ سليمانُ عليه السلام طلبَ المغفرة والهبةِ معًا بأنّه قد سألَ ربّه الكثيرَ المواهبِ والعطاءِ، الّذي يُعطي مَن يشاءُ ويَمنَعُ مَن يشاءُ[3].

فائدةُ تتابُعِ المؤكِّداتِ:

المبالغةُ في تأكيدِ كرَمِ اللهِ ﷻ

تتابعَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ عدّةُ مؤكِّدات، هي: (إنَّ)، والجملةُ الاسميّةُ، وضميرُ الفصل، وصيغةُ مبالغةِ اسم الفاعل، وكلُّها من مُؤكِّداتِ مضمونِ جُملةِ الإسناد، إذ سُليمان عليه السلام لـمّا طلبَ مُلكًا عظيمًا أتى في صفتِه تعالى باللّفظ الدّالِّ على المُبالغةِ، مُؤكِّدًا بأنّه سُبحانه الكثيرُ الهِبات، لا يَتعاظَمُ عندَهُ هِبةٌ[4].

بلاغةُ التّعبيرِ بضميرِ الفصلِ:

وما بكُم مِن نعمةٍ فمِنَ اللهِ وحدَهُ

أفادَ ضميرُ الفصل ﴿أَنتَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ أسلوبَ القَصْرِ، بمعنى اختصاصِ المُسندِ إليه بالمُسنَد، فصارَ المعنى: أنتَ الكريمُ كثيرُ الهِبَةِ لا غيرُك؛ لأنّ اللهَ سبحانه يهبُ ما

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 95.
(2) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 384.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 157.

لا يملكُ غيرُهُ أنْ يَهَبَهُ[1]. وهو سُبحانه مَن يهَبُ عبادَه على الحقيقة، وكلّ ما في أيدي عبادِهِ من هِباتٍ وعَطيّاتٍ إنّما هي مِن جودِهِ وكَرَمِه.

فائدةُ (أل) في ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾ وصيغتِها:

عُرّفَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ وصفُ ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾ بـ (أل) الدّالَّةِ على استغراقِ الصّفة وكَمالِها في الممدوحِ سُبحانه، ودلّت صيغةُ المُبالغةِ ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾ على أنّه تعالى يهبُ الكثيرَ والعظيمَ؛ لأنّ المبالغةَ تفيدُ الكثرةَ كَمًّا أوْ كيفًا، أوْ كليهما معًا بقرينةِ مَقام الدّعاء، فمغفرةُ السّهوِ من المواهبِ العظيمة؛ لما يترتّبُ عليها من درجاتِ الآخرة، وإعطاءُ مثلِ هذا المُلك هو هِبةٌ عظيمة على سبيلِ الحقيقةِ؛ إذ هو الواهبُ الحقيقيُّ الّذي يمنحُ كلَّ شيءٍ بلا عِوَضٍ ولا استحقاقٍ عليه.

الـــواهـــبُ الحقيقيُّ المانحُ بـلا عِـــوَضٍ ولا استحقاقٍ

ردُّ الأعجازِ على الصُّدور:

اشتملَ قولُهُ تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ على مُحسّنٍ بديعيٍّ من أنواعِ (التّجنيس) يُسمّى ردَّ أعجازِ الكلام على ما تقدّمَها، وهو أنْ يوافقَ آخرُ كلمةٍ أوّلَ كلمةٍ منه[2]؛ لأنَّ طلبَ الهِبات العظيمةِ لا تكونُ إلّا من الوهّاب الحقيقيِّ، وكذلك تشتملُ الآيةُ على جناسِ الاشتقاق، حيثُ توافقتْ كلمتا (هَبْ والوهّاب) في الحروفِ الأصول وهي (وهب)، وهو ملحقٌ بالجناسِ الاصطلاحيّ؛ فكثيرًا مّا يُلحقُ بالتّجنيسِ الكلمتانِ الرّاجعتان إلى أصلٍ واحد بالاشتقاق، لما فيه من المُسامَحَةِ[3].

طَـلَـبُ الـهِبةِ لا يَـنبغي إلّا مـنَ الوهّاب

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُلك والسُّلطان والحُكم:

يظهرُ الفرق بينَ هذه الألفاظِ في المعنى الدّلاليِّ لكلّ لفظ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 263.
(2) ابن المعتز، البديع، ص: 140.
(3) العصام الإسفراييني، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: 2/ 464.

دلالـةُ المُلك على التَّصرُّفِ والقوَّة

فـ(المُلك) أصلٌ صحيحٌ يدلّ على قوّةٍ في الشّيءِ، وسُمّي مُلْكًا لأنّ يدَ المَلِك فيه قويّةٌ صحيحةٌ[1]، والمُلك يكون على ضربين: مُلْكٍ هو التَّملُّكُ والتّولّي، ومُلْكٍ هو القوّةُ على ذلك تولّى أم لم يَتَوَلَّ[2]. أمّا (السّلطانُ) فهو من السّلطةِ والقوّة، وتدلّ مادّتُهُ على التّمكّنِ من القَهْر، يقالُ: سلّطْتُهُ فتسلّطَ، ومنه سُمّي السُّلطان، ومنه السّليطُ لقوّةِ اشتمالِهِ، والسّلاطةُ لحدّةِ اللّسان[3]. وأمّا (الحُكم) فأصلُهُ المنعُ، يقال: أحكمتُهُ، ومنعتُهُ، والحُكم بالشّيء أنْ تقضيَ بأنّه كذا أوْ ليس بكذا؛ سواءٌ ألزَمْتَ غيرَك أم لم تُلزِمْهُ[4].

وقد آثرَ النّظمُ القرآنيُّ استعمالَ لفظِ (مُلك)؛ لعمومِهِ ودلالتِهِ على مُطلَقِ التّصرّف والقوّة، فيَستلزِمُ السُّلطةَ والحُكمَ معًا.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ملك).
(2) الراغب، المفردات: (ملك).
(3) الكفويّ، الكليات، ص: 493.
(4) الراغب، المفردات: (حكم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»